العمل الخيري وحاجة الفرد لتقدير الذات والانتماء للجماعة.

Benevolent work and the individual's need for self-esteem and belonging to the community.

أ.بلعيد سارة، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم-الجزائر

أ.د قماري محمد، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم-الجزائر

ملخص: لأن العمل الخيري والتطوع هما من أهم دعائم البناء الاجتماعي وأكثرهما ممارسة واستمرارا وفائدة ليس على صعيد الجهة الممنوحة فقط بل أشمل من ذلك فالعمل الخيري التطوعي يعتبر كمكافأة رمزية للشخص المتطوع كونه يمنحه مشاعر إيجابية متمثلة في زيادة تقدير الفرد لذاته وارتفاع درجة المسؤولية الاجتماعية والتي تجسد مسؤوليته أمام ذاته عن المجتمع وتسد حاجة الفرد للانتماء للجماعة، ولهذا سيتم في هذه الدراسة التركيز على العمل الخيري في بعده الإنساني وبرؤى مختلفة ما يجعلنا نتساءل عن ما يمكن أن يضيفه العمل الخيري للإنسان كفرد له كيانه المستقل؟ وما هي رمزية التطوع في المؤسسات الخيرية؟

الكلمات المفتاحية: العمل الخيري، التطوع، تقدير الذات، الانتماء للجماعة.

Abstract: Benevolent work and volunteerism are two of the most important pillars of social construction And the most practical and useful and not only to the recipient only, but more comprehensive than charitable work is a symbolic reward for the volunteer person who give him / herself positive feelings represented to increase self-esteem Of the individual himself, And it also increases the degree of social responsibility. For this in this intervention I will focus on charitable work in humanitarian form, Of what makes questioning on what you can add the charitable work for a human being as an independent entity? And what does volunteerism mean in charities?

Keywords: benevolent work; Volunteerism; Self-esteem; Belonging to the community.

مقدمة:

قال الله عز وجل(فمن تطوع خيرا فهو خير له) سورة البقرة الآية 184، ويقول صلى الله عليه وسلم(خير الناس أنفعهم للناس) فالعمل الخيري كما جاء في قول الله عز وجل ورسوله الكريم له دور أمثل في بناء المجتمع وتقوية التماسك الاجتماعي ودعم للقيم الأخلاقية بين الأفراد، وهو بهذا المعنى ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطا وثيقا بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل المجموعات البشرية منذ القدم، ولكنه يختلف في حجمه وشكله واتجاهاته ودوافعه من مجتمع لآخر(معلوي الشهراني، 2006، ص02).

هذا ويمثل العمل الخيري قيمة إنسانية كبرى تتمثل في العطاء والبذل بكل أشكاله فهو سلوك حضاري حي لا يمكنه النمو سوى في المجتمعات التي تنعم بمستويات متقدمة من الثقافة والوعي والمسؤولية، فهو يلعب دورا مهما وإيجابيا في تطوير المجتمعات وتنميتها، فالمؤسسات التطوعية الخيرية تتيح لكافة الأفراد الفرصة للمساهمة في عمليات البناء الاجتماعي،كما ويساعد العمل الخيري على تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين وتقوية شعورهم بالقدرة على العطاء(أحمد السيد كردي، 2016، ص01)، ولأن العمل التطوعي والتطوع هما من أهم دعائم المجتمع المدني وحيث إن السمات والخصائص المتعلقة بالمتطوعين تؤثر في اتجاهات المجتمع وآلياته فقد حظي باهتمامٍ بالغ في تلك المجتمعات وانتهى الأمر بالتوجهات التنموية إلى ضرورة الاهتمام بالمشاركة المجتمعية والشعبية وتقوية دورها كأحد أهم ركائز التقدم الاجتماعي ومن هنا زاد اهتمام الدول بالعمل التطوعي مبدأً وممارسةً(آمنة الزير، مشاعل المقبل، 2015، ص03).

وفي زمننا المعاصر أصبحت الضرورة ملحه لمزيد من أعمال التطوع والمتطوعين نتيجة للمشكلات التي يواجهها أفراد المجتمع ومؤسساته الرسمية كتعدد وتعقد بعض الاحتياجات التي لم تكن موجودة في السابق، أفرزها التطور الحضاري والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي شهدها المجتمع،مما جعل الدولة تُعول بل تعقد الأمل على الجهود التطوعية للإسهام في خدمة المجتمع إلى جانب دورها الأساسي ليتحقق الاتساع الإيجابي لشبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ومؤسساته ولتتكامل مسيرة البناء والنماء الاجتماعيين(نايف محمد المرواني، 2016، ص02).

ومثلما أنما إشباع الحاجات الفيزيولوجية مهم جدا فأيضا إشباع الحاجات النفسية له نفس الأهمية، فمن خلال الحاجات النفسية يستطيع الفرد تحقيق ذاته والسمو بها إلى أرقى المستويات مما يجعله كائنا فعالا ومنتجا في مجتمعه يعمل دائما على النمو والتطور(علاء سمير موسى القطناني، 2011، ص10)، وهو ما يدعمه جون ديوي وهو واحد من أهم فلاسفة التربية في القرن الماضي والذي أكد على دور العمل بمختلف أشكاله بتضمين العمل الخيري في فهم وتحقيق الذات الإنسانية في مجال علاقتها مع أفراد المجتمع ذلك أن عمل الفرد داخل المجتمع يتطلب أن تتصل أعماله بأعمال غيره من أفراد المجتمع. وقد ذكر في نفس السياق عدد من علماء النفس منهم (Mead & Cooley) في بيان أهمية العلاقة بين الذات والبيئة الاجتماعية أن الفرد يأتي إلى مرحلة تكوين مفهوم عن ذاته من خلال تعريفه للسلوك الذي ينبغي أن يقوم به اتجاه الآخرين (فضيلة عرفات، 2009، ص02-13).

وفي هذا الإطار سيتم الحديث عن موضوع العمل الخيري في بعده الإنساني وما يمكن أن يقدمه التطوع في المؤسسات الخيرية من مشاعر إيجابية متمثلة في تقدير الذات والرفع من قيمتها وهو ما تكلم عنه ماسلو في نظريته حول الحاجات الإنسانية، ما يجعلنا نتساءل عن ما يمكن أن يضيفه العمل الخيري للإنسان كفرد له كيانه المستقل؟ وما هي رمزية التطوع في المؤسسات الخيرية؟

1.مفهوم التطوع والعمل الخيري:

1.1 مفهوم التطوع:

يعرف التطوع بأنه الجهد والعمل الذي يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم مؤسسي بهدف تقديم خدماتهم للمجتمع أو فئة منه دون توقع لجزاء مادي مقابل جهودهم(فهد سلطان السلطان، 2009، ص13)، كما ويعرف بأنه الجهد الذي يبذله الأفراد من خلال عملهم مع المؤسسات التطوعية رغبةً منهم في حل المشكلات المجتمعية على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والإنساني ولمحاولة تنمية المجتمع وتطويره.والمتطوع هو الشخص الذي يقدم جهده ووقته ويحاول أن يخدم المجتمع بقدر استطاعته وبأفضل ما يملك لتحقيق أهداف تنموية للمجتمع كاملاً، والمؤسسات التطوعية هي مؤسسات غير ربحية تعمل على تطوير المهارات والقدرات وتسعى لتحقيق الصالح العام، وفي التعريف الذي قدمته الأمم المتحدة قبل بدء العام العالمي للتطوع 2001 وهو أن المنظمات التطوعية هي التي تعمل بشكل إرادي حر لمساعدة الآخرين دون الحصول على أرباح مادية وتسعى دائماً للنفع العام(آمنة الزير، مشاعل المقبل، 2015، ص07).

وفي ضوء مفاهيم التطوع السابقة يمكن تحديد الأطر العامة التي تحكم عملية التطوع بما يلي:

- عدم انتظار عائد مادي من جزاء التطوع.
-إن الدافع الإنساني وحب الخير هو الموجه الرئيسي للمتطوع.
-إن للتطوع جهودا إنسانية فردية أو جماعية تستند إلى الرغبة في خدمة الفرد والمجتمع.
- إن الرغبة والدافع الذاتي عوامل أساسية في التطوع(فهد سلطان السلطان، 2009، ص14).

2.1 مفهوم العمل الخيري:

اكتسب مفهوم العمل الخيري أهمية بارزة في السياق الفكري الاجتماعي بصفة عامة وقد استمد هذا المفهوم أهميته من اتصاله بمفهوم أكثر محورية وهو مفهوم المجتمع المدني حيث تتباين وظائفه وأدواره في برامج الحركات الاجتماعية وتطور المجتمعات. فالعمل الخيري الذي أشرنا إليه سابقا بصفته عملا خالياً من الربح والعائد المادي يسعى من خلاله المتطوع إلى تقديم الإيثارية على الأنانية، والبذل على الكسب في معالجة المشكلات الحياتية للجماعات الاجتماعية، فما يقوم به الأفراد المتطوعون ويبذلونه من وقت ومال وجهد لصالح المجتمع في شتى ميادين العمل التطوعي والخيري المتعددة لا يتوقعون له مقابلا موازيا(أحمد السيد كردي، 2016، ص02).

وإجرائيا العمل الخيري يعرف بأنه نشاط اجتماعي يقوم به فرد أو مجموعة أفراد سواء كان بشكل فردي أو جماعي بالانتماء للجمعيات أو المؤسسات الخيرية دون توقع مردود مادي وذلك كله بهدف إشباع حاجات الآخرين(فاطمة محمد رفيدة، ص192)، كما ويعرف بأنه أي عمل أو

نشاط يقوم به الإنسان لخدمة الأفراد ولخدمة المجتمع سواء التبرع بالمال أو بالمواد، أو بالجهد والوقت، سواء كان مطالباً به أو غير مطالباً.وتهدف الأعمال الخيرية إلى تحقيق ما يلي:

- تنمية روح الانتماء لدى الشباب عن طريق إحساسهم بأهميتهم وولائهم للمجتمع الذي ينتمون إليه، حيث يقدمون عليه برضا واقتناع مقابل ما يحصلون عليه من حقوق من هذا المجتمع.
- يثير دافع العمل الخيري الحوافز الإيجابية التي تعمل على رفع مستوى الأداء والسرعة في الانجاز وزيادة معدل إنتاجية العمل، وتحويل الطاقات العاجزة والمعطلة إلى طاقات عاملة ومنتجة.
- يساعد العمل الخيري على تخطي الحواجز السلبية والانعزالية في المجتمع.
-تعبئة الطاقات البشرية والمادية وتوجيهها وتحويلها إلى عمل فيه نفع اجتماعي.
-الرغبة في تحقيق الذات والدفاع عن القيم ونشر المبادئ التي يؤمن بها الإنسان، وهذا الدافع مطلب أساسي للنفس البشرية. وقد أشرنا إلى العلاقة الارتباطية بين التطوع والحاجات الإنسانية فكلما شعر أفراد المجتمع بالأمن والطمأنينة وتوفرت حاجاتهم الأساسية ساعد ذلك على تنمية دواعي التطوع لأن الإنسان يخرج من ذاته إلى مساعدة الآخرين.
- الرغبة في زيادة احترام الذات، وتطلع الفرد إلى مزيد من الاحترام والتقدير الذي قد يأتي من جراء العمل الخيري، وتكون الرغبة أشد لدى أولئك الذين يعتقدون أنهم لا يحصلون على التقدير الكافي في أعمالهم.
- ارتفاع درجة المسؤولية الاجتماعية والتي تجسد مسؤولية الفرد أمام ذاته عن المجتمع الذي يعيش فيه ومدى حاجته لأن يكون مسئولا وعنصراً فاعلا في بناء المجتمع ،إضافة إلى أن المسؤولية الاجتماعية تعتبر مطلباً هاماً لإثراء الشخصية الإيجابية المتفاعلة المتوافقة مع المجتمع.
- مشاعر الرضا عن النفس وإحساس المتطوع بأهمية الإيثار من جراء تفعيل خدمة ومساعدة الآخرين دون مقابل.
- الحاجة للاتصال بالآخرين، حيث تؤدي هذه الحاجة الفطرية لدى الإنسان إلى الانضمام لأعمال التطوع لإتاحة فرصة التعرف على الآخرين من الأقران وتوسيع دائرة العلاقات خاصة فئة الشباب إذ يمكن أن يكون التعرف على الآخرين مفتاحاً للدخول والتفاعل أكثر في المجتمع والحصول على مكاسب سواء كانت شخصية أو غيرها(نايف محمد المرواني، 2016، ص03-12).

وهناك فوائد أخرى تعود على صاحب الحاجة كإحساسه بمشاركة إخوانه له في الضراء، كما أنَّ المجتمع يستفيد خيراً كثيراً نتيجة إعطاء الصدقات للمحتاجين والفقراء والمساكين ومَنْ حالهم، فمن خلال الصدقات يمكن معالجة مشكلات الفقر والبطالة في المجتمعات الإسلامية.من هنا ندرك أهمية العمل الخيري في حماية المجتمع وتربية الأفراد على البذل والعطاء ومشاركة الآخرين وتنمية العلاقات الأخوية التي تقوّي دعائم المجتمع الإسلامي(زيد محمد الرماني، 2005، ص08-09). ويتم تنفيذ العمل الخيري في شكلين:

-العمل الخيري الفردي: وهو عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة بدون مقابل مادي منه، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية.

-العمل الخيري المؤسسي: وهو أكثر تقدما من العمل الخيري الفردي وأكثر تنظيما وأوسع تأثيرا في المجتمع(حسن إبراهيم أقطم، 2014، ص09).

2. تقدير الذات والعمل الخيري:

يؤمن كثير من أصحاب نظريات الشخصية بأهمية تكوين الفرد لاتجاه إيجابي نحو ذاته يشاركهم في ذلك الكثير من الإكلينيكيين وعلماء الاجتماع بحيث تؤكد دراساتهم على أهمية تقدير الذات ومفهوم الذات لصحة الفرد النفسية وفعاليته الاجتماعية. فالتقدير الذي يضعه الفرد لذاته يؤثر بشكل واضح في تحديده لأهدافه واتجاهاته واستجاباته نحو ذاته والآخرين، مما جعل العديد من المنظرين في مجال الصحة النفسية إلى التأكيد على أهمية تقدير الذات في حياة الأفراد من بينهم إريك فروم باعتباره من الأوائل الذين لاحظوا الارتباط الوثيق بين تقدير الفرد لذاته ومشاعره اتجاه الآخرين حيث يرى "فروم" أن الإحساس بالذات لا ينفصل عن الإحساس بالآخرين.

هذا وقد قدم ماسلو نظريته حول الحاجات الإنسانية(هرمية الدوافع) تتضمن نموذجا لتنظيم الحاجات الإنسانية وفيه يتصور بأن الحاجات مرتبة في شكل هرمي يمتد من أكثر الحاجات فسيولوجية إلى أكثرها نضجا وإنسانية من الناحية النفسية.هذا وكما تناول ماسلو حاجات التقدير في كتابه الدافعية للشخصية وأورد تقريرا عن الطرق التي يرتبط بها تقدير الذات بعملية سيرورة الشخص محققا لذاته، وحاجات التقدير وفقا لماسلو تركز على أن جميع الناس لديهم شعور ثابت يقوم على أساس متين بالاهتمام باحترام الذات كما أنهم يحتاجون التقدير من أنفسهم ومن الآخرين، هذا ويؤكد أن تقدير الذات نابع من خلال عملية التفاعل القائمة بين الفرد كذات ونظرة الآخرين لهذه الذات باعتبارها تعيش في مجتمع تؤثر فيه وتتأثر به. هذا وقد تعامل زيلر ZiLLER مع مفهوم تقدير الذات باعتباره يمثل البناء الاجتماعي للذات ويصف تقدير الذات بأنه تقدير يقوم به الفرد لذاته ويلعب دور المتغير الوسيط أو أنه يشغل المنطقة المتوسطة بين الذات والعالم الواقعي وتبعا لذلك عندما تحدث تغيرات في بيئة الشخص الاجتماعية فإن تقدير الذات هو العامل الذي يحدد نوعية التغيرات التي ستحدث في تقييم الفرد لذاته(تحية محمد عبد العال، 2007، ص126-157).

وقد أكد فرانكل إلى أن تحقيق الذات يعني بحث الإنسان عن المعنى تحقيقا للذات حيث يكون الهدف هو تحقيقا للمعنى ومن ثم يكون تحقيقا للذات أثر ونتيجة تابعة وهو ما يجعل الحياة سلسلة من تحقيق المعاني.ويضيف على أن الإنسان لا يحقق وجوده إلا من خلال معنى ينجزه وقيم يحققها ولا يكون الوجود الإنساني جديرا بالثقة إلا إذا عاشه الإنسان على أساس من التسامي بالذات فالإنسان يعيش بالمثل ويحيا بالقيم كما أشار ماسلو (Maslow) إلى أن سعادة الفرد وصحته النفسية تتوقف على مستوى الحاجات التي يستطيع الوصول إليها وتحقيقها، فالفرد الذي يشبع حاجات تحقيق الذات يكون أكثر سعادة وصحة من آخر ما زال في مستوى إشباع الحاجات الدنيا(فضيلة عرفات، 2009، ص03).

كما وبرزت نظريات اجتماعية ركزت على العلاقات الاجتماعية المتبادلة وقيمة المشاركة والعمل المتبادل وأهميته بين أعضاء المجتمع، وتعتمد معظم الدراسات النفسية والاجتماعية التي

تتناول العلاقات التبادلية إلى استخدام بعضاً من النظريات ذات الصلة بهذا الجانب نذكر منها ما يلي:

1.2 نظرية التبادل الإجتماعي:

وهي من النظريات التي حظيت باهتمام وسهر على تطويرها عدد من الباحثين المتخصصين ووسعوا إطارها لتشمل المستويات البنائية والثقافية في المجتمع، والعلاقات التبادلية بين الفرد والمجموعة، وبين المجموعات بعضها مع بعض، والتي تعتمد على الأنماط والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع. ووصل التطور في هذه النظرية إلى الربط بينها وبين نظرية شبكة العلاقات.

وتتعلق النظرية التبادلية بالتفاعل بين الناس وتركز على المكاسب والخسارة التي يجنيها الأفراد من علاقاتهم التبادلية بعضهم مع بعض، فاستمرار التفاعل بين الأفراد مرهون باستمرار المكاسب المتبادلة التي يحصلون عليها من جراء التفاعل، والتفاعل الذي نعنيه في هذه النظرية هو التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر الأساس بالنسبة لأي علاقة اجتماعية يمكن أن تنشأ بين الأفراد، ويكمن الإدراك الاجتماعي وراء كل تفاعل ناجح أو فاشل، ووراء كل مهارة اجتماعية يستخدمها الناس في علاقاتهم بالآخرين، لأن تلك المهارة لا تصلح دون إدراك اجتماعي صحيح لموقف التفاعل الذي يصل بين الأفراد كما يتضمن التفاعل الاجتماعي نوعاً إيجابياً من التأثير المتبادل فيما بينهم في تواصلهم البين شخصي، وهذا التأثير يعمل على تدعيم تماسك الجماعة والمجتمع وتسهيل مجالات التبادل والمشاركة على المستويين البين شخصي والاجتماعي مما يؤدي إلى التفاعل والتواصل، وتجدر الإشارة إلى أن التفاعل الاجتماعي لا يقتضي أو يستلزم تلاشي الفردية أو التقليل من أهميتها، حيث يمكن(نايف محمد المرواني، 2016، ص16) استثمار قوة وإمكانات الإنسان كفرد في إطار من الالتزامات المشتركة بحيث تثري الجهود الفردية طاقة الجماعة كقوة منتجة وتتضمن نظرية التبادل الاجتماعي عدة فرضيات تتبلور وفقا لما يلي:

- ارتباط مكاسب العمل أو النشاط الذي يقوم به الفرد بتكرار ذلك العمل والنشاط اعتماداً على المكاسب التي يجنيها الفرد من عمله.
- مراعاة عدم وجود فاصل طويل «توقف» بين القيام بالعمل والمكاسب.
- إذا كانت هناك مؤثرات في الماضي أدت إلى وجود مكاسب للفرد فإن وجود مؤثرات مشابهه ستدفع الفرد للقيام بالعمل السابق أو بعمل مشابه له.
-كلما كان تقييم الفرد لنتائج فعله أو نشاطه إيجابياً زادت احتمالية قيامه بالفعل، فوجود مكاسب على الفعل الذي يقوم به الفرد تزيد من حدوث السلوك المرغوب.
- عندما يؤدي الفرد عملاً ولا يحصل على مكاسب من جراء ذلك فهناك احتمالية كبيرة للقيام بالسلوك المرغوب، ونتائج هذا السلوك ستصبح ذات قيمة له.

هذه النظرية يمكن إسقاطها على العمل التطوعي الخيري، فالمتطوع الذي يحصل على مكاسب معنوية من احترام المجتمع وحبه وتعاطفه واكتساب تقديره، يدفعه ذلك إلى القيام بالمزيد من الأعمال التطوعية(نايف محمد المرواني، 2016، ص17).

2.2 نظرية الدور:

تعد من النظريات الحديثة في علم الاجتماع وتعتقد بأن سلوك الفرد وعلاقاته الاجتماعية يعتمدان على الدور أو الأدوار الاجتماعية التي يشغلها في المجتمع، فضلاً

عـلى أن منـزلـة الـفـرد الاجتماعية ومكانته تعتمدان على أدواره الاجتماعيـة ذلك أن الدور الاجتماعي ينطوي على واجبـات وحقوق اجتماعيـة فواجبات الفـرد يحـددها الـدور الـذي يشغلــه، أما حقوقــه فتحــددها الواجبــات والمهــام التي ينجـزها في المجتمع. علماً بأن الفرد لا يشغل دوراً اجتماعياً واحداً بل يشغل عدة أدوار تقـع في مؤسســات مختلفـة، والـدور يعـد الوحــدة البنائيـة للمؤسسة والمؤسسة هي الوحدة البنائية للتــركيــب الاجتماعي، فضلاً على أن الدور هــو حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع والتطوع قد يأخذ صوراً متعددة، فقد يكون تبرعاً بالمال، أو تضحية بالوقت، كما يحدث في الجمعيات الخيرية، ومفهوم تعلم الدور أي مفهوم سلوك الدور الفردي ومفهوم سلوك دور الجماعة يقود إلى تعدد الأدوار الاجتماعية، وتظهر هذه النظرية مفهوم المركز الاجتماعي الذي يرى أن كل شخص من الذين يحتلون هذه المراكز يقوم بأفعال معينة أو يقوم بأدوار ترتبط بالمراكز وليس بالأشخاص الذين يحتلون هذه المراكز، وبما أن العمل التطوعي فيه إشباع لحاجة الأفراد والمجتمع على حد سواء، فهو يعمل على سد الثغرات والنقص وبشكل أساسي في عملية التفاعل الاجتماعي القائمة بين الأفراد، ومن مفهوم المركز الاجتماعي يمكن تفسير الدور الذي يؤديه القائمون بالعمل الخيري انطلاقاً من دوافع الخير، وهذا الدور في الأساس يقوي من المركز الاجتماعي للمتطوع(سلمان أحمد الحرتومي، 2013، ص02).

3.2 تالكوت بارسونز (T. Parsons) ونظرته للواقع:

توصل بارسونز إلى صياغة نظريتة حول الفعل الاجتماعي، والتي يمكن إسقاطها على فعل العمل الخيري فمشاركة المتطوع لها جانبين، فمن ناحية هناك جانب المركز الذي يتعلق بالتفاعل في النسق الاجتماعي بالنظر إلى الفاعلين الآخرين والذي يسمى بالمكانة أي مكانة الفاعل في نسق العلاقات منظورا إليه كبناء، ومن ناحية أخرى هناك الجانب الدينامكي وهو يفعله الفاعل من خلال علاقته بالآخرين منظورا إليه من خلال أهميته الوظيفية بالنسبة للنسق الاجتماعي وهو ما يسمى بالدور.

ويرى المهتمون بفكر تالكوت بارسونز أن الفعل الاجتماعي يتكون من أبنية وعمليات يقوم الأفراد من خلالها بتكوين مقاصد ذات مغزى في المستوى الرمزي أو الثقافي لما تمثله وتشير إليه ويؤكد بارسونز على أن الفعل الاجتماعي ينطوي على ما يلي:

- يتكون الموقف الذي يتم فيه الفعل الاجتماعي من فاعلين أو أكثر ويضع الفاعل في اعتباره حضورهم عندما يؤدي الفعل.
- كل طرف من أطراف الفعل له فاعلية يؤثر بها في سلوك الفاعل بطريقة أو بأخرى.
- تتشارك الأطراف المعنية التي تساهم في الفعل الاجتماعي في أنساق معينة وفق ما زودت به من قيم ومعتقدات ومعايير ورموز.

-بفضل هذه المشاركة والتأثير المتبادل تصبح تلك المواقف الاجتماعية متماثلة ومتشابهة وتسير أفعال الفاعلين وفق نسق موحد.

من خلال مفهوم النسق الذي تحدث عنه بارسونز حيث يرى فيه أن الأفراد كجزء من النسق الاجتماعي تتم تنشئتهم اجتماعيا عن طريق مؤسسات التربية والتي تسعى إلى إعدادهم لممارسة الأدوار الاجتماعية المتوقعة منهم(نبيل حميدشة،2016 ، ص488-489).

هذه النظرية تنطبق على العمل التطوعي باعتباره أحد الأنساق الاجتماعية للحفاظ على استقرار المجتمع وتكامله وبهذا يترابط النسق التطوعي مع الأسري والاقتصادي والتربوي والأمني ليشكل البناء الاجتماعي فإذا ما عجز أحد الأنساق الاجتماعية عن القيام بأحد وظائف البناء الاجتماعي فقد ينشأ الخلل الوظيفي الناتج عن عجز الأعضاء في المؤسسة عن ممارسة الوظائف الاجتماعية، فيأتي العمل التطوعي لسد هذا العجز ويعيد الضبط الاجتماعي إلى طبيعته.

4.2 النظرية الوظيفية:

يؤكد أنصار هذه النظرية على وظائف العلاقات المتداخلة في شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة بالفرد، والتي تعمل على مساندته في الظروف الصعبة التي يواجهها في بيئته، وتركز هذه النظرية على تعزيز أنماط السلوك المتداخل في شبكة هذه العلاقات لزيادة مصادر العمل التطوعي لدى الفرد.

وتشير هذه النظرية أيضاً إلى أن العمل التطوعي أو المساندة الاجتماعية هي تلك المعلومات التي تؤدي إلى اعتقاد الفرد بأنه محبوب من المحيطين به، وأن يشعر بأنه محاط بالرعاية من الآخرين وبالانتماء إلى شبكة العلاقات الاجتماعية في البيئة المحيطة، ويشعر بالتقدير والاحترام من مصادر العمل التطوعي القريبة منه، ويشعر أيضاً بواجباته والتزاماته الاجتماعية مع المحيطين به.

ومن خلال هذا العرض لمختلف النظريات المفسرة للعمل الخيري نجد ارتباطها الوثيق بالعمل التطوعي أو ما يسمى بالمساندة الاجتماعية التي تعني المعاضدة والمؤازرة والمساعدة على مواجهة المواقف المختلفة، وهي مفهوم أضيق بكثير من مفهوم شبكة العلاقات الاجتماعية حيث يعتمد العمل التطوعي والمساندة على إدراك الأفراد بشبكاتهم الاجتماعية باعتبارها الأطر التي تشمل أولئك الأفراد الذين يثقون فيهم ويمكن الاعتماد عليهم، وتركز النظريات في مجملها على التفاعل الاجتماعي الإيجابي المحقق للأمن والانتماء واحترام الذات ومعايير الصحة النفسية السليمة(نايف محمد المرواني، 2016، ص18-19).

3. الانتماء للجماعة حاجة ضرورية:

يعد الانتماء من العوامل الهامة التي تساعد على تماسك الجماعات والأفراد وتزيد من استقرارهم وشعورهم بالأمن وخصوصا عندما يحتاج الفرد للآخرين في حال ما إذا قابله خطر أو عندما تحل به مصيبة لأن وجودهم معه يخفف الخطر حتى وإن لم يمنعوه. ويعد الشعور بالانتماء للجماعة من أقوى المشاعر في تحقيق الانسجام والتماسك والتضامن بين أفراد المجتمع، ولقد تناول علماء النفس مفهوم الانتماء كحاجة من الحاجات النفسية مثله مثل العمليات الفسيولوجية الكامنة تستثار داخليا أو خارجيا فتؤدي إلى نشاط من جانب الفرد ويستمر هذا النشاط حتى يتغير معه الموقف، كما ويرون أن الانتماء كحاجة تعمل في إطار الجماعة ولا تعمل منفردة باعتبار أن البشر كائنات اجتماعية تعمل سويا ويعتمد كل منها على الآخر جسميا ونفسيا عبر مواقف الحياة فالعلاقات مع الآخرين هي من الضروريات وهي أمور متكاملة فالبشر قادرون على تقديم كل منهم للآخر في الأفراح والأحزان، إذ أن حاجة الفرد للآخرين تكمن في مساعدته لغيره على حل مشاكله وإرضاء حاجاته فيشعر بالأمن ويزيد احترامه وتقديره لذاته، ويعبر"إريك فروم" عن هذا المفهوم في قوله أن الحاجة إلى الانتماء تكمن في كل ظاهرة من ظواهر العلاقات الإنسانية الودية

وهي الشعور بالمقاسمة والاشتراك لأن المشاركة الإيجابية تسمح للفرد بتجاوز وجوده الفردي وهذه الحاجة ضرورية في الحفاظ على الاستقرار النفسي والاجتماعي للفرد(سهيلة عبد الرضا عسكر، ص02-10).

4. دور العمل التطوعي في خدمة المجتمع وتنميته:

أثبت الدكتور "أحمد السيد كردي" في بحثه بعنوان: "العمل الخيري ودوره في تنمية المجتمع" أنَّ هناك علاقةً وثيقةً بين التنميةِ ومدى نجاحِها في المجتمع والعمل التطوعي، حيث تشير الشواهد الواقعية والتاريخية إلى أنَّ التنمية تنبُع من الإنسانِ الذي يعتبرُ وسيلتَها الأساسيَّة، كما أنها تهدفُ في الوقت ذاتِه إلى الارتقاءِ به في جميع الميادين الاقتصاديةِ والاجتماعية والصِّحِّية والثقافية، ومِن المسلَّماتِ الرئيسية أنَّ التنميةَ تقومُ على الجهد البشريّ، وهو ما يستلزم بالإضافةِ إلى الخطط الواضحة والمحددة وجودَ الإنسانِ الواعي القادر على المشاركة في عمليَّاتِ التَّنمية، وتبرز أهميةُ العمل التطوعي في تنمية المجتمعِ من خلال مِحْورينِ هامَّين هما:

-الاستفادة من الموارد البشرية: حيث يمثِّل العمل الخيري دورًا إيجابيًّا في إتاحة الفرصة لكافة أفراد المجتمع للمساهمة في عمليَّاتِ البناء الاجتماعي والاقتصادي اللازمين في كلّ زمانٍ ومكان، ويساعد العملُ الخيري التطوُّعي على تنمية الإحساس بالمسؤولية لدى المشاركين، ويُشعِرُهم بقدرتِهم على البذل والعطاء.

-الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة: حيث يساهمُ العمل الخيري في تخفيض تكاليفِ الإنتاجِ، ويساعدُ على تحقيق زيادةِ الإنتاج، ومع تزايُدِ الطَّلب على السلعِ والخدمات من قِبَلِ أفرادِ المجتمع، وصعوبة الحصولِ عليها في كثيرٍ من الأحيان، فإنَّه يُصبِحُ من الأهميَّةِ بمكانٍ الاعتماد على جهودِ المتطوّعينَ، لتوفير جزءٍ من هذه الاحتياجات، والعمل الخيريُّ بوجهٍ عام يجمعُ الطَّاقات المُهدرة، ويسخِّرُها لخدمة البناءِ والتَّنميةِ الاقتصاديَّةِ من خلال المؤسَّساتِ والمنظَّماتِ والهيئات الخيرية، لذا حرَصت الدُّول المتقدِّمة على ترسيخ مفهوم العمل التطوُّعي، والحثّ عليه بين جميع الفئات والشَّرائحِ الاجتماعية المختلفةِ، وخلق المناخ الملائم لتشجيعِ كلِّ الأفراد للعطاءِ والإبداعِ، وتخصيصِ إدارة عامَّةٍ متخصِّصة لتحديد المجالات التي يمكِنُ من خلالِها التطوع والإبداع، وخلق الحوافز المادية والمعنوية لرفع نسبة المتطوعين في شتَّى المجالات.وبذلك يرتبط مفهومُ العمل الخيريّ والتطوُّعي بالتنمية الشاملة من خلال مجموعِ الأعمال والبرامج التي تستهدف الإنسانَ والترقّي به، ابتداءً من الفرد، ثم الأسرةِ، ثم تمتدُّ إلى المجتمع؛ فصلاحُ الأسرةِ من صلاحِ الفردِ، وصلاح المجتمع من صلاح الأسرة(أحمد مخيمر، 2012، ص04-05).

خاتمة ومقترحات تفيد في التعريف بأهمية العمل الخيري في البناء الاجتماعي:

تظهر حقيقة العمل الخيري وخططه فيما يمكِن أن تُحدِثَه من تأثيرات وتغيرات في المجتمعِ باتجاه التنمية الشاملةِ، فهو ليس جهودًا تُبذل وحسب لإنقاذ مصابٍ، أو علاجِ مريضٍ، أو أموالاً تنفق لسدِّ رمَقِ محتاجٍ، بل إنَّ خطط العملِ الخيري يجبُ أن تكون في اتجاه التَّنمية وفي اتجاه بِناءِ المجتمع فردًا وأسرةً، ومن هنا يمكِنُ أن نضع الأعمالَ في سياقِها الصَّحيح المنتِج حينما نخطط للبرامج الموجَّهة إلى كلِ فئاتِ المجتمع ولهذا:

-يجب أن تضم البرامج الدراسية للمؤسسات التعليمية المختلفة بعض المقررات الدراسية التي تركز على مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي وأهميته ودوره التنموي ويقترن ذلك ببعض البرامج التطبيقية مما يثبت هذه القيمة في نفوس الشباب.

-أهمية تنشئة الأبناء تنشئة اجتماعية سليمة وذلك من خلال قيام وسائط التنشئة المختلفة كالأسرة والمدرسة والإعلام بدور منسق ومتكامل الجوانب في غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في النفوس الناشئة منذ مراحل الطفولة المبكرة.

-التركيز في الأنشطة التطوعية على البرامج والمشروعات التي ترتبط بإشباع الاحتياجات الأساسية للمواطنين، الأمر الذي سيساهم في زيادة الإقبال على المشاركة في هذه البرامج.

-مطالبة وسائل الإعلام المختلفة بدور أكثر تأثيراً في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل التطوعي ومدى حاجة المجتمع إليه وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين.

-إن للعمل الاجتماعي التطوعي فوائد جمة تعود على الفرد المتطوع نفسه وعلى المجتمع بأكمله إلى استغلال أمثل لطاقات الأفراد وخاصة الشباب في مجالات غنية ومثمرة لمصلحة التنمية الاجتماعية (بلال عرابي، 2001، ص01).

قائمة المراجع:

1. أحمد السيد كردي(2016)، العمل الخيري ودوره في تنمية المجتمع،http://www.kenanaonline.com،الساعة 10:45.
2. أحمد مخيمر(2012)، العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة،الألوكة للنشر.
3. آمنة الزير،مشاعل المقبل(2015)، العمل التطوعي وقيم المواطنة لدى الشباب السعودي (دراسة ميدانية مطبقة على عينة من المتطوعين في المملكة العربية السعودية)،دراسة تطبيقية مقدمة لجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
4. بلال عرابي(2001)، دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع، مقترحات لتطوير العمل التطوعي، مجلة النبأ ، العدد 63.
5. تحية محمد عبد العال(2007)، تقدير الذات وقضية الإنجاز الفائق قراءة جديدة في سيكولوجية المبدع،المؤتمر العلمي الأول،كلية التربية،مصر،القاهرة.
6. حسن إبراهيم أقطم(2014)، معوقات مشاركة المرأة في العمل التطوعي من وجهة نظر المتطوعين والعاملين في مؤسسات المجتمع المدني في محافظة نابلس، رسالة ماجستير غير منشورة في دراسات المرأة، فلسطين.
7. زيد محمد الرماني (2005)، مفاتيح العمل الخيري، ط 01،الرياض: دار الورقات العلمية للنشر والتوزيع.
8. سهيلة عبد الرضا عسكر، الانتماء الاجتماعي وعلاقته بالاذعان لدى المسنين، مجلة البحوث النفسية والتربوية، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد19، بغداد.
9. سلمان أحمد الحرتومي(2013)، نظرية الدور، المملكة العربية السعودية: منشورات جامعة الملك عبد العزيز.
10. فاطمة محمد رفيدة،العمل التطوعي ودوره في تنمية المجتمع رؤية واقعية لدور الجمعيات الأهلية في مدينة مصراتة، مجلة كلية الآداب ، العدد 06.

11.فضيلة عرفات (2009)، تحقيق الذات حاجة ضرورية للمجتمع،مركز النور للدراسات،السويد.
12.فهد سلطان السلطان(2009)،اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي(دراسة تطبيقية على عينة من جامعة الملك سعود)، بحث منشور برسالة الخليج العربي، مكتب التربية لدول الخليج.
13.معلوي الشهراني(2006)، العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم الاجتماعية، المملكة العربية السعودية.
14.نايف محمد المرواني (2016)، العمل التطوعي إشكالاته وتطبيقاته رؤية إجتماعية أمنية،http://www.arabvolunteering.com،الساعة 10:05.
15.نبيل حميدشة (2016)، البنائية الوظيفية ودراسة الواقع والمكانة، http://www.bsociology.com،الساعة 23:08 .